﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة: 243]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين الحفاظ على مكوّنات المجتمع والدّفاع عن كيانه في حماية من يحيي ويميت:

الـــرّبـــط بـين مظاهر التّكليف، وخوارق التّحفيز والتّخويف

بَيَّن البِقاعيُّ عَلاقة الآية الكريمة بسِياقها، بقوله: "ولَمّا انْقَضى ما لا بُدَّ مِنهُ، مِمّا سِيقَ بَعْدَ الإعْلامِ بفَرْضِ القِتال المَكْرُوهِ لِلأنْفُس، مِن تَفْصِيل ما أُجْمِلَ في لَيْل الصِّيام مِنَ المشارِبِ والمناكح، وما تَبِعَها، وكانَ الطَّلاقُ كَما سَلَفَ كالمَوْتِ، وكانَتِ المُراجَعَةُ كالإحْياءِ، وخَتَمَ ذَلِكَ بِالصَّلاةِ حالَ الخَوْفِ، ثُمَّ بِتَبْيِينِ الآياتِ أعَمَّ مِن أنْ تَكُونَ في الجِهادِ أوْ غَيْرِهِ؛ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ دَلِيلًا عَلى آيَةِ كَتْبِ القِتالِ المَحْثُوثِ فِيها عَلى الإقْدامِ عَلى المَكارِهِ، لِجَهْلِ المَخْلُوقِ بِالغاياتِ ﴿۞أَلَمۡ تَرَ﴾"[1].

ولصاحب "روح المعاني" توجيه آخر؛ لبيان مناسبة هذه الآية الكريمة بما قبلها، حيث قال: "ومُناسَبَةُ هَذِهِ لِما قَبْلَها: أنَّهُ سُبْحانَهُ لَمّا ذَكَرَ جُمَلًا مِنَ الأحْكامِ التَّكْلِيفِيَّةِ مُشْتَمِلَةً عَلى ذِكْرِ شَيْءٍ مِن أحْكامِ المَوْتى؛ عَقَّبَ ذَلِكَ بِهَذِهِ القِصَّةِ العَجِيبَةِ؛ تَنْبِيهًا عَلى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وأنَّهُ القادِرُ عَلى الإحْياءِ والبَعْثِ؛ لِلْمُجازاةِ واسْتِنْهاضًا لِلْعَزائِمِ عَلى العَمَلِ لِلْمَعادِ، والوَفاءِ بِالحُقُوقِ، والصَّبْرِ عَلى المَشاقِّ"[2].

وربط الشّيخ الزّحيليّ مختلف السّياقات بصورة أكثر استيعابًا

(1) البِقاعي، نَظْم الدُرَر: 3/242.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 2/160.

لعلائق الارتباط، بين السّابق واللّاحق، فقال: "ذكر الله تعالى في الآيات السّابقة أحكام الأسرة لتنظيم العلاقة بين أفرادها، وبنائها على دعائم وطيدة وأسس ثابتة راسخة، ثمّ ذكر بعدها أحكام الجهاد، للدّفاع عن الأمّة وصون مقدّساتها والدّفاع عن عقيدتها؛ إذ لا صلاح للأسرة إلّا بصلاح المجتمع، وللجمع بين الحفاظ على المصلحة الخاصّة، والمصلحة العامّة، فيتحقّق التّوازن والتّعادل، بين ما يحفظ الجماعة، وما يحفظ الفرد والأسرة، بل إنّ صون المصالح الخاصّة لا يتمّ في الحقيقة، بدون صيانة المصالح العامّة، وحماية الأمّة، والذّود عن حياضها ووجودها أمام أعدائها"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُلُوفٌ﴾: الألْف: عَدَد معروف، يُمَيَّز بواحدٍ مخصوص، قال تعالى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: 96]، ويُثَنَّى، ويُجْمَع على آلافٍ وألوفٍ، وسُمِّيَت بذلك؛ لائتلاف الأعداد فيها، وذلك أنّ الأعداد آحاد وعشرات ومئون وألوف، فإذا بلغت الألف، فقد ائتلفت، وما بعده يكون مكررًا، وآلفت الدّراهم، أي: بلغت بها الألف[2]، قال الجمهور: هي جمع ألف، واختلفوا في العدد، فأكثره ستمائة ألف، وأقلّه ثلاثة آلاف، قال القرطبيّ: "والصّحيح أنّهم زادوا على عشرة آلاف، لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾، وهو جمع الكثرة، ولا يقال في عشرة فما دونها: ألوف، وقال ابن زيد في لفظة ألوف: إنّما معناها، وهم مؤتلفون، أي: لم تخرجهم فُرقة قومهم، ولا فتنة بينهم، إنّما كانوا مؤتلفين، فخالفت هذه الفرقة، فخرجت فرارًا من الموت، وابتغاء الحياة بزعمهم، فأماتهم الله في منجاهم بزعمهم، فألوف على هذا جمع آلف، مثل جالس وجلوس"[3].

2) ﴿حَذَرَ﴾: يقال: حَذِرَ حَذَرًا، وحذرته، الحِذْرُ والحَذَرُ: الْخِيفَةُ، والحَذَر: احتراز من مخيف، وحاذِرٌ: متأهِّب مُعِدٌّ كأنه يَحْذَرُ أن يُفاجَأ، وَالْحَاءُ وَالذَّالُ وَالرَّاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مِنَ التَّحَرُّزِ وَالتَّيَقُّظِ، يُقَالُ: حَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا، وَرَجُلٌ حَذِرٌ وَحَذُورٌ وَحِذْرِيَانٌ: مُتَيَقِّظٌ مُتَحَرِّزٌ[4]،

تقول العرب في الأثـر: لا ينفع حذر من قدر

(1) الزّحيلّي، التّفسير المنير: 2/411.
(2) السَّمين، عُمْدَة الحُفَّاظ: [ألِفَ].
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 3/231.
(4) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حَذِرَ).

وفي قوله تعالى: ﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾، قال الماورديّ: "وفيه قولان: أحدهما: أنّهم فرُّوا من الطّاعون، وهذا قول الحسن ... والقول الثّاني: أنّهم فرُّوا من الجهاد، وهذا قول عكرمة والضّحّاك"[1].

الـلـه المـنـعـم الـعـظـيـم ذو فضل عميم على جميع خلقه

3) ﴿لَذُو فَضۡلٍ﴾: المعنى المِحْوريُّ: زيادة من مادَّة الشَّيء مُتَمَيِّزة منه: كَفَضْل الإزار، وفَضول المال والغنائم، ومن ذلك "الفَضْلة: الثِّياب التّي تُبْتَذَل للنّوم، والفَضْلُ والفَضيلَةُ: خِلاف النَّقْص والنَّقيصة، والإفْضالُ: الإحسان، ورجلٌ مِفْضالٌ وامرأةٌ مِفْضالَةٌ على قومها، إذا كانت ذات فضْلٍ سمحةً[2].

ومعنى الآية: "ذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ حيث يبصّرهم ما يعتبرون به، ويستبصرون، كما بصّر أولئك، وكما بصّركم باقتصاص خبرهم، أو لذو فضل على النّاس، حيث أحيا أولئك؛ ليعتبروا، فيفوزوا، ولو شاء؛ لتركهم موتى إلى يوم البعث"[3].

أكـثـر الـنّـاس لا يـشـكـرون الـلـه عـلـى أنـعـمـه الغزيرة وألطافه الكثيرة

4) ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾: شَكَرَ فلانًا، وشَكَر له شُكْرًا وشُكورًا: ذَكَرَ نِعْمَته، وأثنى عليه بها، والشُّكْر: عِرْفان النِّعْمَة وإظهارها والثَّناء بها، والشُّكْر مِن اللّه: الرِّضا والثَّواب، والشّكور: الكثير الشُّكْر، والشّكور مِن أسماء اللّه الحُسنى، ومَعْناه: المثيب المُنعِم بالجزاء[4].

ومعنى الآية: لا يشكرونه كما ينبغي، ويجوز أن يراد بالشّكر الاعتبار والاستبصار[5]، و"يعني: أن أكثر من أنعم اللّه عليه لا يشكره، أمّا الكافر؛ فإنّه لم يشكره أصلًا، وأمّا المؤمنون؛ فلم يبلغوا غاية شكره"[6].

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 1/312.
(2) جَبَل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤَصَّل، والجوهريّ، الصِّحاح: (فَضَلَ).
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/290.
(4) مَجمَع اللّغة العربيَّة بالقاهرة، المُعجم الوسيط: (شَكَر).
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/149.
(6) الخازن، لباب التّأويل: 1/177.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بلاء الألوف من بني إسرائيل بالموت والحياة كان عقابًا وإظهارًا لمطلق القدرة:

ومن كانت منيّته بـأرض؛ فليس يـموت في أرض سواها

ألم يبلغ علمك - أيُّها الرَّسول ﷺ - خَبَر الّذين خرجوا من بيوتهم وأرضهم - وَهُمْ خَلْق كثير من بني إسرائيل - خوفًا من الموت وهوله، بسبب الوباء أو القتال، ما دفعهم إلى هذا إلّا الجبن والخور، وعدم الإيمان بالله ورسله، ولما خرجوا فارّين قال لهم الله: موتوا، فماتوا دُفعة واحدة عقوبةً على فرارهم من قَدَر الله، ثمّ أعادهم الله أحياء؛ لِيُبَيِّن لهم أنَّ الأمر كلّه بيده سبحانه، وأنّهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا، وهكذا سنة الله في الأمم؛ بابتلائهم بالعدوِّ والشّدائد الّتي تصهرهم، وتميّز الطّيب من الخبيث منهم، فحقًّا الحوادثُ تَخْلُق الرّجال، والحوادث تخلق الأمم، إنَّ الله لذو عطاء وفَضْل على النّاس، ولكنَّ أكثر النّاس لا يشكرون الله على نعمه[1].

وفي هذه القصة عبرةٌ ودليل على أنَّه لن يغني حَذرٌ من قدَر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإنَّ هؤلاء فرُّوا من الوباء؛ طلبًا لطول الحياة، فعوملوا بنقيض قصدهم، وجاءهم الموت سريعًا في آنٍ واحد[2].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

وجه العدول إلى الفصل في المطلع:

لِـلـحَـثِّ عَـلى الجِهادِ في سبيل الله، وللتَّنبيهِ بِـأنَّ الـحَـذَرَ لا يُؤَخِّرُ الأجَلَ

الآية الكريمة اسْتِئْنافٌ ابْتِدائِيٌّ؛ لِلحَثِّ عَلى الجِهادِ في سبيل الله، وللتَّنبيهِ بِأنَّ الحَذَرَ لا يُؤَخِّرُ الأجَلَ، وأن الجبان قد يلقى حتفه في مَظِنَّة النجاة[3]. ومن "عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسّامع، ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد، ومزيد الخضوع والانقياد"[4].

(1) حجازي، التّفسير الواضح: 1/159، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 39.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/661
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/475.
(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 6/495.

بلاغة أسلوب الاستفهام:

الاستفهام للتّعجيب، والتّقرير، والإنكار؛ والغرض الحثّ والتحريض من طريق الكناية بلازم معنى الاستفهام

ذكر ابن عاشور[1] للاستفهام في قوله تعالى: ﴿۞أَلَمْ تَرَ﴾ ثلاثة معان يحتملها سياق الآية الكريمة وتحريرها وفاق الآتي:

الوجه الأول: أن يكون الاستفهام مستعملًا في التعجب أو التعجيب، من عدم علم المخاطب بمفعول فعل الرؤية، ويكون فعل الرؤية علميًّا من أخوات ظن.

الوجه الثاني: أن يكون الاستفهام تقريريًا فإنه كثر مجيء الاستفهام التقريري في الأفعال المنفية، لقصد تحقيق صدق المقر بعد إقراره؛ لأنّه إنْ أقرَّ بالفعل لم يبق له عذر بعد ذلك بادعاء أنه مكره فيما أقر به.

الوجه الثالث: أن تجعل الاستفهام إنكاريًّا، إنكارًا لعدم علم المخاطب بمفعول فعل الرؤية والرؤية علمية، أو بصرية ضُمِّن الفعلُ معنى (تنظر) على أن أصله أن يخاطب به من غفل عن النظر إلى شيء مبصر ويكون الاستفهام إنكاريًا: حقيقة أو تنزيلًا، ثم نقل المركب إلى استعماله في غير الأمور المبصرة فصار كالمثل.

واستفادة التحريض، على الوجوه الثلاثة إنما هي من طريق الكناية بلازم معنى الاستفهام؛ لأن شأن الأمر المتعجب منه أو المقرر به أو المنكور علمه، أن يكون شأنه أن تتوافر الدواعي على علمه، وذلك مما يحرض على علمه.

نكتة التعبير بالتركيب ﴿۞أَلَمْ تَرَ﴾:

هذا التركيب "تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأوّلين، وتعجيب من شأنهم. ويجوز أن يخاطب به من لم يرَ ولم يسمع؛، لأنّ هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب"[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/476 - 477.

(2) الزمخشري، الكشاف: 1/290.

و" إذا جاء فعل الرؤية فيه متعدِّيًا إلى ما ليس من شأن السامع أن يكون رآه، كان كلامًا مقصودًا منه التحريض على علم ما عُدِّي إليه فعل الرؤية، وهذا مما اتفق عليه المفسرون ولذلك تكون همزة الاستفهام مستعملة في غير معنى الاستفهام بل في معنى مجازي أو كنائي، من معاني الاستفهام غير الحقيقي، وكان الخطاب به غالبًا موجهًا إلى غير معين، وربما كان المخاطب مفروضًا متخيَّلًا "[1].

تقرير للسامع بالقصّة، وتعجيب من شأنهم، وتحريض على علم ما عُدِّي إليه فعل الرؤية

فالرُّؤْية المَقصودة، إمَّا أن تكون بَصَريَّة؛ فيُنَزَّل فيها غير الرَّائي مَنْزلة الرائي؛ لأنَّ تلك الحادثة وقعت قبل نزول القرآن الكريم بِزَمن طويل، والغَرَض مِن هذا التَّنزيل الإشارة إلى اشْتهار تلك الواقعة حتَّى لكأنَّها تقع ساعة نُزول الآية وحال سَماعها، وإمَّا أن تكون الرُّؤْية عِلْمِيَّة قَلْبية، وهذا هو الأرْجَح، فيكون الاستفهام تحريكًا للذِّهن؛ لاستحضار حقيقة الواقعة[2].

بيان المراد من الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ :

المُرادُ مِن المَوْصُولِ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ﴾ أهل قرية من بني إسرائيل أُمِروا بالجهاد، فخافوا الموت، فخرجوا من ديارهم فرارًا من ذلك، فأماتهم اللّه؛ ليعرّفهم أنه لا يُنَجِّيهم من الموت شيء، ولِيَعْتَبِرُوا، ولِيَتَيَقَّنُوا أنَّه لا مَفَرَّ مِن قَضاءِ اللَّهِ تَعالى وقَدَرِهِ.

المراد بالذين أهل قرية من بني إسرائيل

سرُّ تعدية الفعل ﴿*أَلَمۡ تَرَ﴾ بحرف (إلى):

وعُدِّيَ الفعل ﴿*أَلَمۡ تَرَ﴾ بحرف (إلى) في قوله تعالى: ﴿*أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾؛ لأنَّ الرّؤية مُسَلَّطَة على القِصَّة، لا على ذوات ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ﴾ أي: المَلأ مِن بني إسرائيل، ولو قيل: ألم تَرَ الّذين خَرجوا، بإسقاط حرف الانتهاء؛ لانصرفت الرُّؤْية إلى ذَواتهم لا إلى قِصَّتهم، وهذا غير مراد.

وجه التعدية بـ(إلى) أنَّ الرّؤية مُسَلَّطَة على القِصَّة، لا على الذوات

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/476.

(2) عبد العظيم المَطْعَني، التَّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/130.

لَمّا اسْتُعِيرَ (ألم تر) لِمَعْنى (ألَمْ تَنْظُرْ)، عُدِّيَ بـ(إلى)

وللرّاغب الأصفهانيّ تعليل آخر لبيان سرِّ هذه التَّعْدِية؛ إذ قال: "رَأَيْتُ" يَتَعَدّى بِنَفْسِهِ دُونَ الجارِّ، لَكِنْ لَمّا اسْتُعِيرَ ﴿*أَلَمْ تَرَ﴾، لِمَعْنى (أَلَمْ تَنْظُرْ)، عُدِّيَ تَعْدِيَتَهُ بـ(إلى) وفائِدَةُ اسْتِعارَتِهِ: أنَّ النَّظَرَ قَدْ يَتَعَدّى عَنِ الرُّؤْيَةِ، فَإذا أُرِيدَ الحَثُّ عَلى نَظَرٍ ناتِجٍ لا مَحالَةَ لِلرُّؤْيَةِ؛ اسْتُعِيرَتْ لَهُ، وقَلَّما اسْتُعْمِلَ ذَلِكَ في غَيْرِ التَّقْرِيرِ، فَلا يُقالُ: رَأَيْتُ إلى كَذا، وكما أن الرؤية ضربان: رؤية بصر، ورؤية بصيرة، كذا أيضًا النظر والإبصار"[1].

وجه دخول لفظة (إلى) في ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾:

(إلـى) حـرفٌ للانتهاء، فكأن المعلم أوصل المتعلم إلى المعلوم وأنهاه إليه

دخول ﴿إِلَى﴾ يحتمل أن يكون لأجل أنّها عندهم حرف للانتهاء كقولك: من فلان إلى فلان، فمن علم بتعليم معلم، فكأن ذلك المعلم أوصل ذلك المتعلم إلى ذلك المعلوم وأنهاه إليه، فحسن من هذا الوجه دخول حرف ﴿إِلَى﴾ فيه، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: 45][2].

المَغْزى البَلاغي لجُملة الحال: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾:

التّعبير بِجَمع الكَثْرة (ألوف) للمبالغة في التّصوير والتّكثير، وشِدَّة الهَلَع

وقد دَلَّت جُملة الحال: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ عَلى شِدَّة الهَلَع الّذي خَلَع قلوب الملأ الّذين خَرَجوا من ديارهم، حيث لم تمنعهم كثرتُهم مِن الفِرار، كما تفيد جهلهم بِسُنَّة الإحياء والإماتة، وأوثر التّعبير بِجَمع الكَثْرة ﴿أُلُوفٌ﴾، على جَمْع القِلَّة (آلاف)؛ للمبالغة في تصوير كَثْرة الّذين خَرجوا مِن ديارهم، فَهُم ألوف مُؤَلَّفة، ولم يكن خروجهم عِن قِلَّة عَدَد، بل دَفعهم إليه جُبْنهم وتخاذلهم.

توجيه معنى المفعول له ﴿حَذَرَ﴾:

"نصب ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ على أنّه مفعول له، والمعنى: خرجوا لحذر الموت، فلما سقطت اللّام؛ نصب على أنّه مفعول له، وجاز أن يكون

(1) الراغب، تفسير الرّاغب: 1/499، والرّاغب، المفردات، (رَأى)، والقاسِمي، محاسن التّأويل: 2/636.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 6/495.

نَصبه على المصدر؛ لأنّ خروجهم يدلّ على حذر الموت حذرًا[1]. وقال الواحديّ في الوسيط: "قال الزّجّاج: إنّما نصب حذر؛ لأنّه في تأويل المصدر، كأنّه قيل: يحذرون حذرًا؛ لأنّ جعل الأصابع في الآذان، يدلّ على الحذر"[2]، وقد بَيَّنَ المفعول له في قوله: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ سبب خروجهم، وهو خَوفهم المطْلَق مِن الموت، وحِرْصهم التّامّ على الحياة، أيًّا كانت هذه الحَياة، ثُمَّ إنَّ هَلَعهم هذا لَم يَكُن عن يَقين، فالموت لم ينزل بساحتهم، ولم تتحقّق شواهده؛ لِيَفرُّوا مِنه، بل إنَّ الحَذَر هو الّذي دفعهم للهروب قبل أن تتحقّق أسباب الموت المسَوِّغَة لِخروجهم؛ لذا كان التّعبير القرآنيّ ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾؛ كاشفًا بِدِقَّة مُتناهية عن نُفوس مُتخاذلة، وقلوب هَلِعَة وجُبْنٍ مُتَأصِّل.

المفعول له يُبيّن سَبب خروج الملأ مِن دِيارهم

علّة تَقَدُّم ضَمير الّذين خَرجوا على الفاعل: :

وتَقْديم ضَمير الّذين خَرجوا (هُمْ) في قوله: ﴿لَهُمُ﴾ عَلى الفاعِل اسم الجَلالة؛ لأنَّ التَّعجيب المُراد مِن الاستفهام مُنْصَبٌّ عَلى قِصَّتهم، فاقتضت بلاغة التَّنْزيل تقديم ضميرهم على الفاعل؛ لأنَّهم مَوْضِع الاهتمام في الآية الكريمة، ومَحَطّ الرِّحال[3].

قـدّم الجـارّ والمجرور (لهم)؛ لأنّهم المعنيون بالقصة، فقدّمهم اهتمامًا بهم

سرُّ الإيجاز بالحَذْف في قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾:

وفي قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾، إيجاز بالحَذْف، تقديره: فماتوا، بدليل أحياهم؛ لأنَّ الإحياء لا يكون إلَّا بَعْد الفَناء، وسرّه البلاغيّ الدِّلالة على فَوْرِيَّة تَحقّق مُراد اللّه تعالى، وعلى استحالة تَخَلُّف مُراد اللّه تعالى عن إرادته[4].

سـرّ الحـذف الدّلالة على فَوْرِيَّة تَحقّق مُراده تعالى، وعلى استحالة تَخَلُّف مُراده تعالى عن إرادته

علّة إماتة الذين خرجوا ثم إحيائهم:

أمَّا عِلَّة إماتة المَلأ من بني إسرائيل، ثُمَّ إحيائهم في قوله تعالى:

(1) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/322.
(2) الواحديّ، الوسيط: 1/92.
(3) المَطْعَني، التَّفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/131.
(4) المَطْعَني، التَّفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/131.

غـايـة الإمـاتـة والإحياء الاعتبارُ بأنّه لا مفرّ من قضاء الله تعالى

﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾؛ فهِي كِي يَعْتَبِروا، ويَعْلَمُوا أَنَّهُ لا مَفَرَّ مِن حُكْم اللهِ، ولا رادَّ لِقَضائِهِ.

سِرُّ العدول عن عبارة (أماتهم الله)، إلى قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾:

سرّ التعبير بما عليه النظم القرآنيّ أنّه تعالى قضى عليهم بالموت في آن واحد، وكأنّها مَيْتة رجل واحد، أو امتثال أمر واحد

سِرُّ العدول عن عبارة: (أماتهم الله)، إلى ما عليه النَّظم القرآنيّ المقصود به إماتتهم، أي: فأماتهم في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ وعدل به عن التَّصريح بهذا اللّفظ الصّريح (أَماتَهم)، إلى ما عليه النّظم؛ للدِّلالة على أنّه سبحانه قضى عليهم بالموت في آن واحد، وكأنّها مَيْتة رجل واحد، وتلك مَيتة خارجة عن المألوف، وكأنّهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالًا، من غير تردّد ولا تريّث، وفي هذا ترغيب للمسلمين في الجهاد في سبيل الله تعالى، وأنّ الموت - إذ لا مفرّ منه - فأولى أن يكون في سبيل الله[1]. قال الشهاب: "عُبِّر عن أماتهم الله بما ذُكِر؛ للدِّلالة على أنَّ موتهم كان شبيهًا بامتثال أَمْر واحد، مِن آمِرٍ مُطاعٍ، لا يُتَوقَّف في امتثاله، فيكون دفعة على خلاف العادة"[2]. فالمُراد مِن القَوْل في الجملة؛ تَعَلُّق إرادة اللَّه تعالى بِمَوت الّذينَ خَرجوا دُفْعة واحدةً، وإمَّا تَمْثيل لإماتَته تَعالى إيَّاهم مَيْتة نَفْس واحِدةٍ في أَقْرب وَقتٍ وأدناه[3].

المقصود بالتعبير موعظة المسلمين بترك الجبن، وأن الخوف من الموت لا يدفع الموت

قصدية التعبير بلفظ الموت بين المجاز والحقيقة:

أوضح ابن عاشور وَجْهَي المجاز والحقيقة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ بقوله: "القول فيه إما مجاز في التكوين والموت حقيقة أي جعل فيهم حالة الموت، وهي وقوف القلب وذهاب الإدراك والإحساس، استعيرت حالة تلقي المكون لأثر الإرادة بتلقي

(1) الزَّمَخشري، الكشّاف: 1/147، والنَّسَفيّ، مدارك التنزيل: 1/123.
(2) الخَفاجيّ، عِناية القاضي: 2/327.
(3) الجَمَل، الفُتوحات الإلهيَّة: 1/197.

المأمور للأمر، فأطلق على الحالة المشبهة المركب الدال على الحالة المشبه بها على طريقة التمثيل، ثم أحياهم بزوال ذلك العارض فعلموا أنهم أصيبوا بما لو دام لكان موتًا مستمرًا وقد يكون هذا من الأدواء النادرة المشبهة داء السكت وإما أن يكون القول مجازًا عن الإنذار بالموت، والموت حقيقة، أي أراهم الله مهالك شموا منها رائحة الموت، ثم فَرَّجَ الله عنهم فأحياهم. وإما أن يكون كلامًا حقيقيًا بوحي الله، لبعض الأنبياء، والموت موت مجازي، وهو أمر للتحقير شتمًا لهم، ورماهم بالذّل والصَّغار، ثم أحياهم، وثبت فيهم روح الشجاعة. والمقصود من هذا موعظة المسلمين بترك الجبن، وأن الخوف من الموت لا يدفع الموت"[1].

دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾:

وقد أشارتِ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾، إلى مُباغتتهم بِعَكْس مُرادهم، فَوْر خُروجهم هَرَبًا مِن ساحة المَوْت، فإذا بالمَوْت يَسْلب أرواحهم، ولم يَتْرك لهم فُرْصَة مِن الوَقْت[2].

المُراد مِن القَوْل في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾، تَعَلُّق إرادة اللَّه تعالى بِمَوتهم.

العَطْف بِحَرف التَّراخي في قَوْله تَعالى: ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾:

أوثر العطف بحرف التَّراخي؛ للإشارة إلى أنَّ إحياء تلك الألوف - الّتي قُضِي عليها بِالمَوْت جميعًا في آن واحد - حَدَث بعد فَتْرَة مُتراخِية من الزَّمَن، لا يعلم مداها إلّا الله تعالى، وذلك بالتّأكيد على تحقّق موتهم، واليأس التَّام من كَوْنهم أحياء، مُغْمى عليهم مثلًا، والواقع أنّهم لمّا فرّوا من الموت، حسبوا أنّهم أصبحوا منه بنجوة، ولكنّه سبق عليهم قدر الله، فأتاهم الموت الّذي فرّوا منه، وماتوا بأمر الله في لحظة واحدة.

العطف بـ(ثم) للإشارة إلى أنَّ إحياء من أُميتَ حدَث بعد فَتْرَة مُتراخِية من الزَّمَن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/479-480.
(2) الجَمَل، الفُتوحات الإلهيَّة: 1/197.

بلاغة تعاقب تأكيدات الخَبَر:

تـوكـيـد الـخـبـر بجماع المؤكّدات تـشـريـفٌ لـه، وتفخيم

أُكِّد الخبر في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾، بثلاث مُؤكِّدات: إنَّ، واللَّام، واسميّة الجملة؛ لتفخيم الخَبر وتَشْريفه.

نكتة إيثار لفظ ﴿لَذُو﴾ على لفظ (صاحب):

إيثار ﴿لَذُو﴾ على صاحب؛ لدلالته على الشَّرَف والفَخامة، وليتناسب مع فَخامة الخَبَر.

سرّ التنكير في لفظة ﴿فَضۡلٍ﴾:

تـنـكـيـر لـفـظـة فضل للتعظيم

والتَّنْكِيرُ في قَوْلِهِ: ﴿فَضۡلٍ﴾ لِلتَّعْظِيم، أيْ: لَذُو فَضْلٍ عَظِيم عَلى النّاسِ جَمِيعًا، أمّا هَؤُلاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا؛ فَلِكَوْنِه أحْياهم؛ لِيَعْتَبِرُوا، وأمّا المخاطَبُونَ؛ فَلِكَوْنِه قَدْ أرْشَدَهم إلى الاعْتِبارِ والاسْتِبْصارِ بِقِصَّةِ هَؤُلاءِ[1].

قصديّة التعليل بجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾:

سبب التعليل بـثُّ خُـلـق الاعـتـمـاد على الله في نفوس المسلمين في جميع أمورهم

جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ "واقعة موقع التعليل لجملة ﴿ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾ والمقصود منها بث خلق الاعتماد على الله في نفوس المسلمين في جميع أمورهم، وأنهم إن شكروا الله على ما آتاهم من النعم، زادهم من فضله، ويسر لهم ما هو صعب"[2].

الاستدراك للتّوبيخ، ولتأكيد العموم في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾:

علّة الاستدراك لـلـتّـوبـيـخ، ولتأكيد العموم

الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾، استدراك على مضمون الجملة السَّابقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنَّ تقديره: فيجب عليهم أن يشكروا تفضُّلَه عليهم بالإيجاد والرِّزْق، ولكنَّ أكْثرهم غير شاكر، فهو للتّوبيخ، ولتأكيد

(1) الشَّوْكانّي، فتح القدير: 1/261.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/480.

العموم ودلّ على أنّ الشّاكر قليل، كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13][1].

العدول عن الإضمار إلى الإظْهار:

ايـثـار الإظـهـار ليكون أنصَّ على العموم، ولِدَفْعِ قَـضْـدِ المـرادِ بالنّاسِ الأُوَلِ، أهْلِ زَمانٍ ما

عُدِل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، حيث كان الظَّاهر أنْ يُقال: إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكن أكثرهم لا يشكرون؛ للغارة عليْهِم لِجُحودهم، وكفران النِّعْمة، "ولِيَكُونَ أنَصَّ عَلى العُموم؛ لِئَلّا يَدَّعِي مُدَّعٍ أنَّ المرادَ بِالنّاسِ الأُوَلِ، أهْلُ زَمانٍ ما، فَيَخُصُّ الثّاني أكْثَرَهم ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾، وذَلِكَ تَعْرِيضٌ ببَنِي إسْرائِيلَ، في أنَّهم لَمْ يَشْكُرُوهُ سُبْحانَهُ وتَعالى، في الوَفاءِ بِمُعاهدَتِهِ لَهم، في اتِّباعِ هَذا النَّبِيِّ الكَرِيمِ، عَلَيْهِ أفْضَلُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وفي هَذا الأُسْلُوبِ بَعْدَ هَذِهِ المناسَباتِ إثْباتٌ لِقُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى الإعادَةِ، وجَرٌّ لِمُنْكِرِ ذَلِكَ إلى الحَقِّ مِن حَيْثُ لا يَشْعُرُ"[2].

توجيه تكرار لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في مختتم الآية:

تـكـرار لـفـظ الـنـاس لـدوران مـعـنَـيَـيْـهِـمـا بـيـن الـعـمـوم والخصوص

أعاد ذكر ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل: (ولكن أكثرهم)؛ لأن الناس في الأول عام لكون نعمته على جميعهم، وفي الثاني خاص للمكلفين، لأنه لا يلزم شكرهم غيرهم، فكأنه قيل: ذو فضل على جميع الناس، ولكن أكثر المكلفين لا يشكرون[3].

نكتة تخصيص النبي ﷺ بالخطاب:

اخـتـلاف اعـتـبـارات الـخـطـاب، بـاخـتـلاف مـقـامـات المخاطبين

ذهب بعضهم إلى أنّ الله تعالى قد خصّ بهذا الخطاب النبيَّ ﷺ، فقال في هذه الآية: ﴿*أَلَمْ تَرَ﴾، وعمّ الخطاب في موضع آخر، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: 15]؛ لأن

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/564، والسَّمين، عُمْدَة الحُفَّاظ: 2/257.
(2) البقاعي، نَظْم الدُرَر: 3/396.
(3) الراغب، تفسير الراغب: 1/501.

ذلك لما كان من الاعتبارات التي تخفى إلا على ذوي البصائر من الأنبياء ومن يدانيهم في العلم ولم تكن من المحسوسات المشاهدة؛ خصّ النبي ﷺ بالخطاب، وفي الآية الأخرى ونظائرها لما كانت من الأمور المحسوسة عَمَّهم بالخطاب[1].

بيان متشابه لفظ الآية مع غيرها:

قال الراغب: "﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13]، لكنه أبلغ في الذم، لأنه نفى وقوع شكرٍ منهم وشكور هنا مبالغة، وقد لا يكون شكوراً من كان شاكراً"[2].

التذييل في هذه الآية أبلغ في الذم، لأنه نفى وقوع شكرٍ منهم

براعة تقديم الدليل قبل المقصود:

قال ابن عاشور: "موقع ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم قبل قوله: وقاتلوا في سبيل الله موقع ذكر الدليل قبل المقصود، وهذا طريق من طرق الخطابة أن يقدم الدليل قبل المستدل عليه لمقاصد، والمقصود من مثل ذلك الاهتمام والعناية بالحجة قبل ذكر الدعوى تشويقًا للدعوى، أو حملًا على التعجيل بالامتثال"[3].

تقديم الدليل للاهتمام والعناية بالحجة قبل ذكر الدعوى تشويقًا لها، أو حملًا على التعجيل بالامتثال

وذكر الفخر الرازي أنّ الله سُبْحانَهُ قدّم بِلُطْفِهِ ورَحْمَتِهِ ذِكْر الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِمْ عَلى الأمْرِ بِالقِتالِ؛ لِئَلّا يُنْكَصَ عَنْ أمْرِ اللَّهِ بِحُبِّ الحَياةِ بِسَبَبِ حَذَرِ المَوْتِ، ولِيَعْلَمَ كُلُّ أحَدٍ أنَّهُ بِتَرْكِ القِتالِ لا يَثِقُ بِالسَّلامَةِ مِنَ المَوْتِ، كَما قالَ في قَوْلِهِ: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: 16]، فَشَجَّعَهم عَلى القِتالِ الَّذِي بِهِ وعَدَ إحْدى الحُسْنَيَيْنِ، إمّا في العاجِلِ الظُّهُورُ عَلى العَدُوِّ، أوْ في الآجِلِ الفَوْزُ بِالخُلُودِ في النَّعِيمِ، والوُصُولُ إلى ما تَشْتَهِي الأنْفُسُ، وتَلَذُّ الأعْيُنُ[4].

علّة التقديم لِئَلّا يُنْكَصَ عَنْ أمْرِ اللَّهِ بِحُبِّ الحَياةِ بِسَبَبِ حَذَرِ المَوْتِ

(1) الراغب، تفسير الراغب: 1/501.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 1/501.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/475-476.
(4) الرَّازي، مفاتيح الغَيْب: 6/165.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»